جوزيف روزنتال

«ما كنت ولن أكون أبدا من أولئك الأعضاء الذين ينكرون اليوم بسماجة ما عبدوه بالأمس، فقد كنت ولا زلت وسأظل حتى آخر نسمة من حياتى شيوعيا كاملا ومخلصا إخلاصا تاما لقضية البروليتاريا».

جوزيف روزنتال

(من شهادته أمام النائب العمومى فى ١٩٢٤/٣/٦)

الاسم: جوزيف روزنتال

المهنة: جواهرجى – ١٦ شارع شريف – الإسكندرية

الجنسية: روسى، ثم تجنس بالجنسية المصرية

تاريخ الوصول إلى مصر: ١٨٩٩

ما أبأس أن تهب حياتك للدفاع عن قضية يتشكك أصحابها فى حسن نواياك، أو حتى يرفضون الاعتراف بما قدمت لهم ومن أجلهم من تضحيات.

لكن جوزيف روزنتال فعلها، نجح فى أن يغرس أقدامه ووجدانه فى التراب المصرى، أسس أول نقابة عمالية، نظم أول إضراب عمالى، أسس أول جامعة شعبية، دعا العمال للتعلم ومكنهم من ذلك. أسهم فى تأسيس أول مجموعة اشتراكية فى مصر، أسهم فى تأسيس الحزب الاشتراكى المصرى الأول.

لكن الحزب ما لبث أن أصدر قرارا بفصله، بناء على طلب قادم من الخارج، من قيادة الكومنترن، أما هو فقد ظل متمسكا بل ومتشبثا بموقفه الشيوعى، معلنا أمام الجميع، وفى تحد صارخ، تضامنه مع الحزب فى وقت محنته، فعندما صدر قرار حكومى بحل الحزب وسجن قادته وإغلاق مقاره، ومصادرة صحيفته، ومطاردة كل من يشتبه فى انتمائه إليه، وبينما الكثيرون يفرون أو يحاولون، يتنكرون للحزب وللمبدأ ولا يستنكفون، وقف روزنتال أمام النائب العام معلنا: "ما كنت ولن أكون أبدا من أولئك الأعضاء الذين ينكرون اليوم

بسماجة ما عبدوه بالأمس، فقد كنت ولا زلت حتى آخر نسمة من حياتى شيوعيا كاملا ومخلصا إخلاصا تاما لقضية البروليتاريا".

ولكن كيف يمكن إمساك خيوط الحديث عن رجل كروزنتال؟ هناك مجموعتان من الخيوط، ما قاله عن نفسه وما قالته عنه تقارير الأمن، والمعلومات فى كلتا المجموعتين تكاد تكون متطابقة.

ولنبدأ به هو.. لنستمع إليه وهو يتحدث أمام النائب العمومى، وقد أوردت «الأهرام» (١٩٢٤/٣/٧) نص إفادته أمام النائب العمومى قائلة: "إن هذا التحقيق عبارة عن بيان تاريخى خطير لنشأة حركة العمال وتطورها فى مصر منذ ٢٥ عاما، فلا يخفى أن هذا الرجل هو بمثابة تاريخ حى لنهضة العمال فى هذه البلاد، وهو الذى أيقظ التعاون بين العمال بقوة النقابات".

وتمضى «الأهرام»: "وعندما دخل المسيو روزنتال إلى قاعة التحقيق سأل معالى النائب العمومى عن سبب استدعائه وهل هناك تهمة خاصة موجهه إليه؟ فقال النائب العمومى إنه إنما استدعاه ليسأله أن يروى له ما يعرفه عن نشأة الحزب الاشتراكى بصفة عامة، فأظهر المسيو روزنتال تمام استعداده لإجابة هذا الطلب، وطفق يسرد تفاصيل المسألة، فقال: إنى منذ حداثتى أميل إلى المبادئ الاشتراكية، وأحن إليها، وقد كان أعظم الآمال عندى أن أرى حالة العمال تتحسن بقوة التربية والتنظيم. ولما وفدت إلى مصر منذ ٢٥ سنة جعلت أسعى لتأليف النقابات، وأول نقابة اشتركت فى تأليفها كانت نقابة عمال السجاير (وهى أول نقابة على النمط الحديث تأسست فى مصر) وبعد ذلك اشتركت فى تأسيس بضع نقابات أخرى للخياطين وعمال المعادن وعمال المطابع". ويمضى روزنتال: "كان من رأيى أن ننشئ للطبقة العاملة مراكز للدفاع الاقتصادى والتربية الفكرية ولهذه الغاية نشرت فى غضون ١٩٢٠ نداء إلى النقابات العاملة أدعوها إلى تأسيس اتحاد يضم شملها جميعا، فتلقت هذا النداء بالقبول بل بالإجماع، وأرسلت إلى الإسكندرية مندوبين من قبلها يمثلون ٣٥ ألفا من العمال للاشتراك فى البحث فى المشروع، غير أن رؤساء النقابات المتشبعين بالفكرة السياسية (من الوفديين والحزب الوطنى) شعروا إذ ذاك بأن إنشاء النقابات الحقيقية بطريقة تراعى فيها حالة العمال، يؤدى إلى نزع كل ما لهم من سلطة عليها، ويحول دون الوصول إلى أغراضهم السياسية، فسعوا سعيا جديا لحمل

نقاباتهم على عدم الاشتراك بالاتحاد، وظلوا يماطلون فى التدابير الأولية سنة كاملة، وفى بدء عام ١٩٢١ تمكنا من تأسيس اتحاد النقابات بعدد محدود لا يتجاوز ثلاثة آلاف من العمال".

والآن لنطالع ما قالته تقارير الأمن:

مذكرة رقم ٤٥٧ مؤرخ فى ١٠ مارس ١٩٢١

إلى مستشار وزير الداخلية

من ى. كلايتون عن المدير العام لإدارة الأمن العام.

فيما يلى مذكرة بالمعلومات التى فى حوزتنا عن جوزيف روزنتال وابنته شارلوت روزنتال.

* عام ١٩٠١: فى هذا العام بدأ اهتمام أجهزة الأمن بالمذكور كفوضوى (يلاحظ أن كلمة شيوعى لم تكن تستخدم حتى ذلك الحين فى تقارير الأمن، وكانت تستخدم مكانها كلمات مثل: (فوضوى، إباحى، نهيليست)، شديد التعصب يقوم بترويج دعايات مثيرة.

* عام ١٩١٣: ورد اسمه بشكل أساسى فى قضية أداموفتش النهيليست الروسى.

* يوليو ١٩١٦: ورد تقرير من إدارة شئون اللاجئين يتهمه بأنه مثير للاضطراب والمتاعب.

* نوفمبر عام ١٩١٨: خلال احتفالات السلام (انتهاء الحرب العالمية الأولى) قام برفع علم الاشتراكيين وهو رقعة حمراء ووسطها كفان يتصافحان.

* فى ٧ يوليو ١٩٢٠: قام بصفته رئيسا لاتحاد المستأجرين بتنظيم إضراب لمدة ٢٤ ساعة كإعلان عن احتجاج المستأجرين على ارتفاع إيجارات المحلات، وقامت ابنته شارلوت بالإشراف على مجموعات من الأفراد تولت مهمة إجبار أصحاب المحلات غير المشتركين فى الإضراب على إغلاق محلاتهم.

* فى ١٦ يوليو ١٩٢٠: ورد تقرير من بوليس الإسكندرية بأن المذكور هو المنظم الأساسى لإضراب عمال الترزية، كذلك اشترك فى إضراب عمال محلات الحلاقة متظاهرا بأنه اشتراكى. وهو يبذل جهدا كبيرا كى يصبح رئيسا للمجلس البلدى بالإسكندرية، وذلك بالرغم من أنه لم يحصل فى الانتخابات السابقة للمجلس البلدى إلا على أصوات قليلة.

* ٣١ أغسطس ١٩٢٠: أفادنا قومندان بوليس الإسكندرية بالتقرير التالى: «روزنتال معروف كفوضوى، سياسى وخطر، مدرج فى القائمة السوداء».

ثم تقول الوثيقة: «جوزيف روزنتال معروف للبوليس منذ عشرين عاما، وهو يتبنى عادة مواقف متطرفة للغاية فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية، وصفه البوليس من آن لآخر بأنه فوضوى، مهيج، سياسى خطر، ويقول أحد المرشدين، وهو يعرفه تمام المعرفة، إنه لا شك لديه فى أن روزنتال يعتنق أشد أنواع الشيوعية تطرفا، وأنه يعمل بنشاط على ترويجها، ويزعم أنه يؤمن بضرورة تغيير الأوضاع القائمة، إلا أنه لا يعتقد (أى المرشد) أن روزنتال يحبذ استخدام العنف، هدفه الراهن هو توحيد العمال فى مصر فى اتحاد ضخم. وما من شك فى أن أحد أهدافه من القيام بمثل هذا العمل هو نشر الشيوعية فى صفوف العمال تدريجيا، ولا شك أن اعتناقه لهذه المبادئ يدفعه بطبيعة الحال إلى تشجيع بل والإسهام فى تأسيس ناد مثل "نادى الدراسات الاجتماعية" وهو ناد ينهج نهج الدولية الثالثة (كان روزنتال رئيس هذا النادى)، وما من شك فى علاقة روزنتال كممثل أو كمراسل فى مصر للدولية الثالثة.

وهو على مراسلات متصلة بليتفينون الذى قال إنه ممثل البلاشفة فى أستونيا، ويوجد فى صفوف النقابات التى يؤسسها عديد من العمال ذوى الاتجاهات البلشفية، وثمة شكوك وجدت مؤخرا فى أنه يتراسل مع العناصر البلشفية فى فلسطين عن طريق أشخاص يسافرون لهذا الغرض، ولا بد أن نذكر فى هذا الصدد لقاء القبض على ابنته أثناء زيارتها لفلسطين فى نوفمبر الماضى، وقد جاء فى تقرير البوليس عنها أنها تعتنق أفكارا اشتراكية متطرفة، وقد ضبطت فى حيازتها أوراق صادرة عن الدولية الثالثة.

هذا، وقد أدلى روزنتال بحديث إلى السيدة ترافرسى سيمونس، نائبة رئيس تحرير الإجبسيان جازيت، فى مايو الماضى، أعرب فيه عن ارتياحه لما يحرزه من تقدم فى عملية تنظيم العمال فى نقابات، وقال أيضا إنه ما من فرصه ولو ضئيلة لنشر الشيوعية الآن وسط الفلاحين المصريين، وإن فشل سياسة لينين تجاه الفلاحين المتوسطين سوف تلقن الشيوعيين دروسا جيدة لدى أية محاولة لنشر دعاياتهم فى المستقبل فى صفوف الفلاحين المصريين».

وتمضى الوثيقة قائلة: "وقد طرحت مسألة اتخاذ إجراء حازم ضد روزنتال فى شهر مارس الماضى، وعرض الأمر على المستشار، لكن د. جرانفيل أعرب عن اعتقاده بأنه لا ضرورة لاتخاذ إجراء كهذا بسبب ما يتمتع به روزنتال من تأييد وسمعة حسنة فى الإسكندرية الأمر الذى يؤهله لأن يطمح إلى منصب رئيس بلدية الإسكندرية، كذلك أشار

المستشار إلى أن روزنتال يقوم بكل أنشطته فى وضح النهار".

ويبدو أن روزنتال بالفعل أصبح شخصية هامة ومؤثرة فى المجتمع، كما أن الكثيرين قد أصبحوا يتعاملون معه كقائد فعلى للحركة العمالية النقابية، فثمة وثيقة أمنية أخرى: (إدرة الأمن العام – وزارة الداخلية – ٢٨ سبتمبر ١٩٢١) تسجل فى دهشة ممزوجة بالخوف ما يلى: «فى ١٠ أغسطس ١٩٢١ قام مصطفى بك النحاس، أحد قادة حزب الوفد، بزيارة لروزنتال حيث عرض عليه بصفته رئيسا لاتحاد العمال بيانا يزمع سعد زغلول نشره قبيل الانتخابات".

والذين يدركون حجم جماهيرية سعد زغلول وحزبه فى ذلك الوقت يمكنهم أن يدركوا مغزى خطوة كهذه.

لكن العمل النقابى لا يكفى، فلا بد من عمل سياسى طبقى، هكذا أكد روزنتال فى إفادته أمام النائب العام، وقال: "ولما كنا نرى أن النقابات لا تستطيع أن تتدخل تدخلا فعليا فى الأمور السياسية لكونها مؤلفة من عمال مختلفى الاتجاهات، وذوى نزعات سياسية متضاربة، فكرنا فى تأسيس حزب سياسى يكون بمثابة لسان حال لنقابات العمال، ويكون فى استطاعته أن يدافع عن مصالحهم فى المجلس النيابى وغيره، ويسعى لحمل الحكومة على إصدار قانون لحماية العمال المتروكين تحت رحمة الرأسمالية وظلمها، وعملا بهذه الفكرة أنشأنا الحزب الاشتراكى".

ويقول: "رأيت من بعض الوطنيين عطفا على الاشتراكية، وكان من هؤلاء العاطفين حسنى أفندى العرابى ود. على العنانى وسلامة أفندى موسى وعبد الله أفندى عنان، فاتفقت معهم على العمل وقررنا تأسيس الحزب الاشتراكى المصرى، وقد كتبوا لهذا الغرض منشورا يحتوى على مبادئ الحزب موقعا عليه منهم ولم أشترك فى التوقيع عليه لأنى كنت أعتبر أن ظهور اسمى الأجنبى، بالرغم من كونى مصرى الجنسية، يمكن أن يعد بمثابة تدخل من أجنبى فى مسألة مصرية".

ويقترب سلامة موسى من هذه الرواية فيقول إنه وزملاءه عندما قرروا تأسيس جمعية اشتراكية «كتبنا إلى مسيو روزنتال باعتباره سكرتيرا للحزب الاشتراكى المؤلف من الجالية الأجنبية فى مصر نسأله عن برنامج الحزب فإذا وافقنا عليه انضممنا إليه». (الأهرام – ١٩٢١/٨/١٩).

ويقول د. على العنانى (أحد أربعة وقعوا على بيان تأسيس الحزب): «عرفت المسيو روزنتال الذى يسعى منذ أمد بعيد لتأليف حزب اشتراكى فى هذه البلاد، وعرفت عنه هذه المبادئ الشريفة العادلة» (المرجع السابق).

ومنذ البداية نشب خلاف بين المؤسسين، سلامة موسى (اشتراكى فابى) كان يعترض أصلا على تأسيس حزب ويرى الاكتفاء بتأسيس جمعية اشتراكية، وهو ومعه عبد الله عنان ود. على العنانى وروزنتال يعترضون على الاستجابة لضغوط الكومنترن التى ترى ضرورة تغيير اسم الحزب إلى الحزب الشيوعى، وانسحب سلامة وعنان والعنانى، وقرر روزنتال أن يبقى فى الحزب مستمرا فى الدفاع عن وجهة نظره التى ترى أن سياسة لينين تجاه الفلاحين المتوسطين خاطئة، وأن الحزب المصرى يصعب عليه التوجه إلى الريف بسياسة كهذه، والتى ترى أنه من الخطأ دفع الحزب المصرى إلى تبنى سياسات متطرفة فى ظروف غير مواتية، وترى أنه لا جدوى من التمسك بحرفية النص فى المبادئ الـ٢١ التى أعلنها الكومنترن، وكان روزنتال يؤمن بضرورة مراعاة الواقع المحلى وعدم النقل حرفيا من تجارب الآخرين.

استمعوا إليه فى شهادته أمام النائب العام يجيب عن سؤال:

«س: هل تعرف البنود الإحدى والعشرين التى تعلنها المبادئ الشيوعية، وما رأيك فيها؟

ج: أعرفها جميعا، ولو كنت أحد واضعيها ربما كنت لا أوافق على مجموعها، ولكنى أرى أن التفسير الحرفى لكل بند لا يؤدى إلى المعنى المقصود، ومعانى المبادئ والشرائع جميعا لا تظهر إلا عند التطبيق، ولا أظن أن اللجنة المركزية الدولية ترى أن مصر قابلة للتغيير حتى تدفع الفرع المصرى إلى تنفيذ الفكرة الثورية، ويلوح إلى أن البعض يستعمل كلمة ثورة كشبح مخيف، مع أن هذه الكلمة تستعمل فى جميع العلوم والتواريخ لأغراض علمية وتاريخية، وعلى كل حال فإن الطرق المتبعة للوصول للشيوعية، يجب أن تختلف باختلاف البلدان والمجالات الاقتصادية والنفسية فى كل بلد بالرغم من كون المبدأ واحداً للجميع».

لكن عبارات كهذه لم تكن مقبولة من قيادة الكومنترن المتشددة تشددا ستالينيا. والتى كانت تعتبر أن القول بتميز ظروف بلد ما، إنما يعنى إفلات الحركة الثورية فى هذا البلد من سيطرة الخط العام، أو التعليمات العامة أو حتى القبضة المحكمة.

وهكذا صدر قرار الكومنترن بإبعاد روزنتال عن الحزب كأحد شروط ثلاثة يمكن بعد

تحقيقها قبول الحزب المصرى عضوا فى الكومنترن، ويعزى روزنتال ذلك إلى أن البعض قد وشى به وفسر أفكاره بأنها تمرد أو دعوة للتمرد على الكومنترن.

ويطرد روزنتال، يطرد الرجل الذى - وباعتراف الجميع - كان من أوائل دعاة الاشتراكية فى مصر، وكان واحدا من أبرز مناضليها، وتنحى الرجل فى صمت حرصا على وحدة الحزب الذى وهب حياته من أجل قيامه.

ثم يأتى الزمن الصعب، سعد زغلول يستجيب لضغوط سلطات الاحتلال ولصراخ أصحاب المصانع من الأجانب الذين أفزعهم نمو الحزب، وتزايد نشاطه. وموجة الاضطرابات حسنة التنظيم، يستجيب سعد لهذه الضغوط ويصدر قرارا بحل الحزب والقبض على قادته.

الآن لا مجال للاختلاف، ولا الغضب، ولا الشماتة، ولا الادعاء بأنه كان على حق، الآن لا مجال سوى التضامن، ولا كلمة سوى تأكيد الانتماء لرفاق دربه، بل وحتى المطالبة بأن يتحمل نصيبه معهم فى الاتهامات التى يواجهونها.

ويصدر روزنتال بيانا إلى الصحف (الأهرام- ١٩٢٤/٣/١٢) يقول فيه: "إذا كان لا علاقة لى بالحزب الشيوعى فذلك ليس ناتجا عن تلاشى الحزب، ولكننى أرغمت على ذلك على أثر وشايات ومطاعن، فتنحيت حتى لا أوجد انقساما فى وحدة الحزب ولا أظهر كأنى أعمل ضد حركة اجتماعية أشاطرها مبادئها". ثم إننى «ما كنت ولن أكون أبدا من أولئك الأعضاء الذين ينكرون اليوم بسماجة ما عبدوه بالأمس، فقد كنت ولا زلت وسأظل حتى آخر نسمة من حياتى شيوعيا كاملا ومخلصا إخلاصا تاما لقضية البروليتاريا». وبالرغم مما أظهرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى من قلة الخبرة، وما ارتكبته من الأغلاط فأنا أتضامن معها تضامنا تاما، وأطالب بنصيبى من المسئولية.

وما أسوأ أن تعيش وضعا كهذا، رفاقك ينكرونك، والعدو يواصل مطاردتك، وأنت مصمم على التمسك بالمبدأ.

وقد ظل روزنتال مطرودا من الحزب، وحتى مبادرته التضامنية مع رفاقه القدامى لم تحظ باهتمام أحد، أما ابنته فقد ظلت عضوة فى اللجنة المركزية للحزب، وقبض عليها عام ١٩٢٥، وقدمت للمحاكمة وحكم ببراءتها، وواصلت معركتها، وواصل روزنتال معركته كفرد يحاول أن يواجه إنكار أصدقائه وعداء خصومه، وفى أكتوبر ١٩٢٧ وجه البوليس ضربة

جديدة إلى خصمه اللدود روزنتال، فقد لفق له ولابنته ولآخرين تهمة خطيرة هى محاولة اغتيال الملك فؤاد، وثبت فيما بعد تلفيق هذه القضية.

ولنقرأ بعضا من الأسطر عن هذا الموضوع: «فى ٣٠ أكتوبر طلعت الصحف على الناس بخبر مؤامرة لاغتيال جلالة الملك فؤاد الأول، وقلب نظام العرش فى مصر، وظهر بعد التحقيق أنها مؤامرة وهمية، وتحرير الخبر أن شخصا يدعى على أفندى شحاتة مستخدم بمصلحة التلغراف قدم فى ٢١ يونيو ١٩٢٧ بلاغا إلى إدارة الأمن العام يدعى فيه بوجود مؤامرة لاغتيال جلالة الملك أثناء رحلته فى أوروبا، وقلب نظام الحكومة إلى جمهورية واتهم فى هذه المؤامرة بعض أعضاء الحزب الشيوعى ومحمد بك حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى، وقال إن البلشفيك الروس يمدون المتآمرين بالمال، وإن ذلك يتم عن طريق جوزيف روزنتال وابنته شارلوت، وبعد التحريات الدقيقة ثبت أن المبلغ كان كاذبا فيما ادعاه» (أحمد شفيق باشا - حوليات مصر السياسة - ج٤ - ص٥٩١).

وتقول «الأهرام» "ثبت أن المبلغ كان لفترة طويلة عميلا للبوليس" (الأهرام -١٩٢٧/ ١٠/٣) لكن ذلك جاء بعد فترة طويلة من القبض، والتحقيق والحملات الصحفية الظالمة، ويبقى الرجل وابنته بين فكى كسارة لا ترحم.

الابنة تطرد من مصر، ويصدر مرسوم ملكى بإسقاط الجنسية المصرية عنها فى ٢٣/ ٨/ ١٩٣١ (راجع نص المرسوم فى: د. رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الأول - ص٥٩٢).

ويعنى ذلك أنه لم يعد مسموحا لها بالعودة إلى مصر، وتضغط الكسارة بطرفها الآخر، فستالين يعتقلها ويعتقل زوجها فى عام ١٩٣٦ بتهمة الاشتراك فى مؤامرة تروتسكية ويموت الزوج بعد عامين فى معسكر الاعتقال، وتبقى هى معتقلة ١٨ عاما لا يفرج عنها إلا وهى حطام فى عام ١٩٥٦ (والترلاكور - الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط - ص١٥٥).

وبرغم قسوة الزمن، ورعونة الرفاق، وبطش العدو ودكتاتورية الزعيم، ظل روزنتال مصمما على موقفه، وكأنى به وهو يعانى بين فكى كسارة البندق يستمر صارخا: «ما كنت ولن أكون أبدا من أولئك الأعضاء الذين ينكرون اليوم، بسماجة ما عبدوه بالأمس. فقد كنت ولا زلت وسأظل حتى آخر نسمة من حياتى شيوعيا كاملا، ومخلصا، إخلاصا تاما لقضية البروليتاريا».